انشئت حول القصر بساتين واسعة وبني في وسطها ايضاً قصر منفرد لكي يستريح فيهِ الخليفة بعد رجوعهِ من القنص وكان هذا القصر المعدّ للاستراحة مبنيًّا على اعمدة من رخام ذوات تيجان مذهبة وكان ينبع في وسطهِ عين ماء صاف كالزئبق بياضاً وتنصب من فم الدستية في اناء مستدير مصنوع من البرفير

ولم تنفق جميع اموال خلفاء اسبانيا في المباني الفاخرة لتزيين المملكة فقط بل أنفق بعضها في عمارات نافعة فقد بنى الخليفة الحاكم قناطر وفتح طرقاً انشأ فيها محطات للسياحين وبنى في قرطبة مسجداً سماهُ باسمهِ وكان انشاؤهُ باهتمام المقلد في هذه المدينة بالضبط والربط وقيادة جيوش المملكة وبالتأمل فيما اسلفناهُ يعلم ان عرب اسبانيا اول الامم المتمدنة في القرن الحادي عشر بعد الميلاد بل كانوا يفوقون في ذلك العصر جميع امم اوربا الآن ميلهم الى الشقاق اثار بينهم نار الحرب وعجل دمار سلطانهم في ذلك الزمان المحتاجين فيهِ الى نفوذ كلمتهم ليتمكنوا من مقاومة نصارى اسبانيا

الانسان

كلام موجز في وحدة نوعهِ وتبادل حقوقهِ

لجناب صالح افندي حمدي

اقرّ علماء الطبيعة على وحدة نوع الانسان ولاسيما بعد ان اشتهر مذهب داروين . ومعلومٌ ان تقاليد الامم واخبار الملل والنحل تؤيد ذلك وتدلُّ على ان الانسان وُجد اولاً في اواسط اسيا اما في المكان الذي ارتأى ده كاترفاج العالم الانثربولوجي انهُ كان وطن الانسان الاول او في مايقاربهُ من البلدان الاسيويَّة . فالهنود يحولون نظرهم الى الشمال حيث جبلهم المقدّس المعروف باسم ميروث و يعتقدون بوجود جنة هناك وُجد فيها الانسان اولاً والفرس يجعلون مهد الجنس الآري شمالي بلادهم وقد سلّط عليهِ معبودهم اهريمان الشتاء عشرة اشهر فهاجر ذلك القطر هاربًا من البرد القارس وجاء الى بخارى ونحوها من الاقطار الجنوبيَّة . وتشفُّ الروايات السامية ونصوص التوراة عمَّا يقرب من ذلك فقد ذهب بعضهم ان نهر فيشون المذكور في التوراة هو نهر السند وان بلاد حويلة الموصوفة بجواريها الكريمة هي بلاد كشمير

والاخباريون من اهل الاسلام متفقون على ان هبوط آدم عليهِ السلام من الجنة كان

في الارض قال البيضاوي "ومن زعم انها لم تخلق بعدُ قال انها بستان كان بارض فلسطين او بين فارس وكرمان خلقه الله تعالى امتحانًا لآدم وجعل الاهباط على الانتقال منه الى ارض الهند كما في قوله تعالى اهبطوا مصر"

ومن الحقائق المقرَّرة ان بني البشر كانوا لاول ظهورهم متشابهين متجانسين لا اختلاف بين صورهم الاَّ في الميزات الفرديَّة واستمروا في ذلك زمانًا فلمَّا شرعوا في الرحيل وضربوا في مشارق الارض ومغاربها أثرت فيهم عوامل الاقاليم المختلفة ونتج من ذلك ثلاثة اصناف البشر الاصليَّة ومنها نشأت بقيَّة الاصناف على ان الاوصاف التي تميز كلاًّ من الاصناف الاصليَّة والفرعيَّة لا تدل على اختلاف كبير بينهم . وغاية ما نراهُ من الفرق بين الطرفين البعيدين لنوع الانسان وهما الابيض والاسود انما هو توقُّف بسيط في سُبل الرقي . اما اختلاف ادمغة البشر فقد دلَّ البحث والاختبار على ان تثقيف العقول وتغذيتها بلبان المعارف ولباب العلوم لمن اكبر البواعث على نموّها وجلاء صدإ اوهامها

وهناك مسألة أخرى تنوزع فيها وهي وحدة البشر الاديَّة وهي هل الآداب والفضائل فطريَّة في اصناف البشر او هي مكتسبة فقد قال قوم ان المتوحشين ليس لهم نصيب من الآداب وان آداب المتمدنين وحكمهم وضعيَّة وتختلف باختلاف الاحوال . على ان مَن يقرأ كتب السياح واخبارهم يرى ان نفوس المتوحشين لا تخلو من اصول بعض الآداب ولا شك ان تلك الاصول تنمو وترتقي بارتقاء تلك الامم في سبيل الحضارة معها اختلفت اقاليمها ونظامها الاجتماعي

واذ قد ثبت ان البشر من أصل واحد وان مصدر آدابهم واحد فلا شبهة في انهم متساوون في الحقوق اي انهم واحد لدى الحق القضائي . ولقائل ان يقول كيف يكون ذلك وقد رفع الدهر اقوامًا واناخ بآخرين فهم بين متمدنٍ راقٍ ذرى الحضارة ومتقهقر منحط عن منالها ووحشيٍّ لم تطأ رجلهُ ربوعها ولا يعرف لها معنى . هذا فضلاً عن اختلافهم في الاديان فكيف يستوون أو يرضون بالمساواة . والجواب ان ذلك وان كان بعيد المنال لكنهُ يتمُّ تدريجًا بتعميم المدنيَّة وادخال قيود وشروط في كل المعاهدات الدوليَّة يكون من وراثها منح الحريَّة المدنيَّة والسياسيَّة لجميع الناس على السواء . وذلك ليس بمستحدث ولو انهُ رقي مقامًا سامياً في هذا الزمان فقد نصَّ التاريخ ان بعضًا من قدماء ملوك اليونان منَّ الفرطاجنيين الذين كانوا يتولون جزيرة صقلية بتقريب القرابين البشريَّة لان دياناتهم كانت تطلب منهم ذلك . وكان النبي صلَّى الله عليهِ وسلم يعامل اليهود والنصارى باللين والمودَّة وكثيرًا ما كتب لهم العهود والمواثيق ليؤمنهم على ارواحهم ومعتقداتهم ومنها العهدة التي كتبها الى رهبان

دير القديسة كاترينا في جبل سينا وبقيت مرعيّة في زمن الخلفاء الراشدين ومَن اتى بعدهم من الخلفاء والسلاطين الى ان وُضع اصلها في الخزانة السلطانية بالاستانة العليّة وعوّضت باخرى تركيّة العبارة . وقلّما تخلو عهدة من العهدات التي كتبت بين دول اوربا وممالك الشرق من بنود وقيود تتعلق باطلاق الحريّة الدينيّة ومنع بيع الرقيق

ولقد ترك اليونان خير انموذج في ما يسمّى بالامفيكتيونيات وهي عبارة عن محاكم سياسيّة ودينيّة تحكم بين عدة من الاقاليم والولايات اليونانيّة في حل المشاكل التي تعرض لهم والمحافظة على السلم في البلاد اليونانيّة ودرء الشحناء والبغضاء من بينهم واذا لم تفلح في منع شبوب الحروب سعت في اخماد لظاها وتقليل ضررها لانه لم يكن يجوز للمتحاربين اذا كانوا من اعضاء الاتحاد الامفيكتيوني ان يخربوا مجاري مياه المدن المحصورة ولا ان يحولوا مجرى نهر جارٍ اليها واذا فتحت المدينة عنوةً فلا يحقّ للفاتح ان يخربها . ويتهادن المتحاربان اثناء الحرب ريثما يتمكنان من دفن موتاهم ولم شعثهم ولا يحرم من الدفن الاّ كل من خالف امر المجلس في هذا الصدد

ثم اذا استتبّ النصر لاحد الفريقين فعليه ان لا ينشر شعار النصر دائمًا لئلاّ تزيد حسرات المغلوب ويضمر الاحقاد . وكانوا يحترمون كل مَن لجأ الى المعابد والمياكل ويحقنون دمه ويجيزون لكل محارب ان يذهب الى المياكل لتقديم القرابين وان يحضر الالعاب العموميّة آمنًا

وفي القرون الوسطى كانت الكنيسة الرومانيّة شبه محكمة عالية تقضي بالعدل بين شعوب اوربا الذين يجمعهم دين واحد وتؤلف بينهم وبلغت اوج سلطتها في زمان البابا غريغوريوس السابع وبقيت سنين كثيرة في صورة حكومة مطلقة تدافع عن حقوق الشعوب وتفصل بين حكوماتهم الاّ انها كانت تباين صورة التحكيم الحقيقيّة لانها كانت تعتبر سلطتها المدنيّة كالدينيّة فوق كل سلطة ولذلك كانت احكامها قاضية لا مردّ لها وبقيت كذلك الى ان ظهر لوثيروس

ولقد اظهر غرتيوس الهولندي صاحب كتاب حقوق الحرب والسلم ان الحقوق والواجبات الانسانيّة قاعدتها الطبيعة البشريّة لا التحيّز والتعصّب للاديان وجاء بعده بوفندرف الالماني فقال ان الحقوق الطبيعيّة والدوليّة ليست قاصرةً على ابناء الدين المسيحي ولكنها روابط عامة تربط كل الامم والشعوب على اختلاف اديانهم ومذاهبهم لانهم كلهم داخلون في دائرة الانسانيّة التي هي الجامعة الكبرى لنوع الانسان . الاّ ان آراء هذين

الفيلسوفين طرحت في زوايا النسيان ولم يُعمل بها الّا في هذا الزمان اذ كثرت صلات الامم واشغالتهم عن التضاغن الديني

اما التحكيم الاختياري الذي يعتبرهُ عقلاء هذا العصر وفضلاؤهُ خير وسيلة لدفع ما يقع بين الدول من العداوات والمشكلات فلم يكن مجهولاً عند الاقدمين فقد قيل في عهدة عقدت بين ارغوث واسبرطة ان كل خلاف يحدث بين تينك المدينتين يحسم بواسطة تحكيم احدى المدن الاخرى . وكان التحكيم شائعاً بين جزيرة صقلية و بلاد اليونان الشرقيّة حتّى سنت للقضاة المحكمين قوانين سنتها لجنة مشكلة من قبل مجلس الشيوخ

ومن العجب ان العرب على ما اشتهروا به من شن الغارات والاعتماد على السلاح في فصل الخصومات كانوا يلجأون في الكثير من الاحوال الى التحكيم وهي عادة قديمة عندهم لم تزل آثارها الى اليوم ومنها المحاكمة او المنافرة المشهورة التي حصلت قبل الهجرة بسنتين بين سيدَي بني عامر علقمة بن عبدة التميمي وعامر بن الطفيل العامري على يد شيخ جليل من قبيلة اخرى فحكم لكليهما بالرئاسة سويّة بعد ان اخبرهما حولاً كاملاً واصدر حكمهُ في مجلس حافل برؤساء القبائل

وكان للعرب قديمًا محالفات ومعاهدات كباقي الامم اشرفها واكرمها ما يسمونهُ بحلف الفضول وهو الذي حضرهُ النبي صلعم ومدحهُ في حديث مشهور وقد نُدب اليهِ الزبير بن عبد المطّلب فاجتمع اليهِ بنو هاشم وزهرة و بنو اسد في دار عبد الله بن جدعان التيمي بمكة وتحالفوا على ان يردّوا الفضول اي الحقوق المغصوبة ظلمًا على اهلها وان لا يعز ظالم على مظلوم أيًا كان قال الاستاذ المرحوم رفاعه بك "وكان هذا الحلف لشرف موضوعهِ ونبل الغرض المقصود منهُ يكاد يكون اساسًا لسياسة وطنيّة وتمهيدًا للمواد التمدنية" . وقال فيهِ ايضًا "ومَن تأمّله حق التأمل وجدهُ اساس ما يسمّى عند الملل المتمدنة بالحقوق المدنية والحقوق الدولية"

ومن بداءة هذا القرن الى الآن وقع في البلاد الاوربية ما ينيف على اربعين تحكيمًا دوليًا في مسائل شتّى نأتي على اشهرها هنا

ففي سنة ١٨٢٥ وقع خلاف بين فرنسا وانكلترا بسبب امساك بعض السفن على السواحل المراكشيّة فسوّي بتحكيم ملك بروسيا . وسنة ١٨٤٣ حُكّم هذا الملك في امر الخلاف بين الولايات المتحدة والمكسيك وسنة ١٨٥٣ فضّ الخلاف بين انكلترا والولايات المتحدة على تحديد ولاية فلوريدة بواسطة ثلاثة محكمين من قبل كل فريق . وازداد التحكيم بعد معاهدة

باريس ففي سنة ١٨٥٨ حكم ملك بلجكا بين الولايات المتحدة وشيلي كما اصلح قبل ذلك بين البرازيل وانكلترا وسنة ١٨٦٩ جُعل رئيس الولايات المتحدة حكَمًا بين انكلترا والبورتوغال في حق ملكيَّة جزيرة بلما فاصدر حكمه سنة ١٨٧٠ للبورتوغال . وسنة ١٨٧٢ حُكِّم امبراطور روسيا بين بيرو و يابان وامبراطور المانيا بين انكلترا والولايات المتحدة وملك ايطاليا بين انكلترا والولايات المتحدة ايضًا في مسألة اخرى . وسنة ١٨٧٤ حكَّم الفرس والافغان قائدين انكليزيين وحكَّمت الصين واليابان سفير انكلترا في يابان . وسنة ١٨٧٥ حُكِّم رئيس جمهوريَّة فرنسا بين انكلترا والبورتوغال وسنة ١٨٨٥ حُكم البابا بين المانيا واسبانيا

ولما ترجَّح للدول الاوربيَّة فوائد التحكيم لفصل الخصومات وحل المشاكل خوَّل كلٌّ من بارلمان انكلترا وايطاليا والولايات المتحدة الاميركيَّة و بلجكا وهولندا واسوج ونروج حكوماتهم ان تعتمد على التحكيم ما امكن لحل المشاكل الخارجيَّة فحققوا امنيَّة من اماني فلاسفة الحقوق الدوليَّة التي لو رجع اليها بنو البشر في حل مشكلاتهم لارتاحوا من كثير من المصاعب والمتاعب الملمَّة بهم والتي ينوء بحملها افرادهم

وارتأى المؤلف بلونتشلي ان تشكَّل محكمة تحكيم دائمة كالمحكمة التي كانت قديمًا في صقلية ويكون من اختصاصها حل كل المصاعب والمشاكل السياسيَّة ومسائل التعويضات والضمانات . وفي ذلك ضياع بعض الفوائد الخصوصيَّة ولكن هذا الضياع لا يذكر في جنب خسائر الحروب والملايا التي تلمُّ بنوع الانسان بسببها الَّا ان اختيار المحكمين الاسماء لا يخلو من الصعوبة فاذا اختير لذلك دولة على الحيادة فلا يؤمن من محاباتها مع غيرها او من عدم كفاءة الذين يعتمدهم ملكها او رئيسها لفحص الدعاوى . اما المحاكم العادية فغير معتادة النظر في تلك المشاكل وهي ايضًا في شغل شاغل عن ذلك بما لديها من مشاكل رعاياها . وقد ارتأى الاستاذ ليبران تطرح دعوى الولايات المتحدة على مدرسة كليَّة من مدارس الحقوق وارتأى بلونتشلي ان يكتب وزراء الخانيَّة في كل الدول العظمى اسماء افضل القضاة الذين عندهم في معرفة الحقوق الدوليَّة ويختار منهم العدد اللازم للقضاء بين المتخاصمين تحت نظر دولة على الحيادة واشار غيره بطرق اخرى غير هذه ربما جئنا على وصفها في فصل آخر